

ويعلمنا الإمام عليّ (عليه السلام) عن كيفية محاسبة النفس فيقول: «إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفسُ، إنّ هذا يومٌ مضى عليك لا يعود إليك أبداً، وإني سأسألُك عنه فيما أفنيتَه، فما الذي عملتَ فيه؟ أذكرتَ الله أم حمدتَه، أفضيتَ حقَّ أخٍ مؤمنٍ؟ أنفستَ عنه كربتَه؟ أحفظتَه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتَه بعد الموت في مَخْلَافَتِه؟ أكففتَ عن غيبة أخٍ مؤمنٍ بفضل جاهِك؟ أعتتَ مسلماً؟ ما الذي صنعتَ فيه؟ فيذكر ما كان منها؛ فإن ذكر أنَّهُ جرى منه خيرٌ حمد الله عزَّ وجلَّ وكبَّره على توفيقه، وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً استغفر الله عزَّ وجلَّ وعزم على ترك معاودته». على الإنسان أن يدقق في أعماله، ليكون كلُّ يومٍ عنده يوم حساب، ليأتي إلى ربه وقد استطاع أن يركبَ عمله في خطئٍ رضى الله تعالى. وقد حدثنا الله عن بعض الناس الذين يقفون يوم القيامة، ويؤتى بكتابهم فيقولون: (يَا وَيْلَتَنَّا مَا لَآلِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّهُمْ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف/ 49).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ نظَرَ في عيبِ غيره اشتغل عن عيبِ نفسه»، النفس الأمّارة بالسوء، والتي لم يفكر أحدنا أن يجلس معها ليسألها عن نقاط ضعفها وقوتها، وليتساءل معها: كم كذبت؟ كم غيبة؟ كم ظلماً؟ كم شتيمة؟ لنكن أصدقاء أنفسنا، فصدِّقك من صدِّقك لا من صدِّقك. أن نهى هذه النفوس عما يضرُّها، ونرشدنا إلى ما ينفعها: «يا نفسُ، ما نهى الله عنه فهو مما يفسد حياة الإنسان في دُنْيَاهِ وآخِرَتِهِ، وأمّا ما أمرَ الله به، فهو مما يصلح حياة الإنسان في دُنْيَاهِ وآخِرَتِهِ».

فلنفكر بهذه الطريقة، ونحن في ضيافة الله، حتى نخلص من شتّى أمورنا، وحساب النفس ليس أمراً سهلاً، إنّه يتحرّك في عالم الشهوة والمزاج: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (النازعات/ 40-41)، فالإنسان مدعوٌ لفهم نفسه وحسابها ومحاكمتها ومجاهدتها، «اجعل نفسك عدوًّا تجاهده، لأنّها أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي».

هذا الشهر هو شهرُ المراقبة، أن تراقب نفسك لتفهمها، وشهر المحاسبة، أن تحاسب نفسك في كلِّ عمل، ثم إذا حاسبتها فهناك المحاكمة بأن تحكم لها وعليها، وهناك المجاهدة بأن تجاهد نفسك فتمنعها عن الشرِّ وتوجّهها إلى الخير. لذلك علينا أن نخرج من هذا الشهر بعقلٍ جديد ليس فيه إلا الحق، وقلب جديد ليس فيه إلا المحبة والخير، وحركة جديدة ليس فيها إلا ما يرضي الله، ولا شيء إلا الله تعالى.